

حرف الضاد المعجمة

٧٨ - الضحاك بن أحمد بن الضحاك بن محمد بن عبد الجبار
أبو العشائر المقرئ الحولاني

حدث بدمشق عن عبد الله بن علي بن عبد الرحمن الأزدي بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال :
« من أفطر يوماً من رمضان من غير علة فعليه صوم شهر » .

٧٩ - الضحاك بن زمل بن عبد الرحمن

- ويقال : ابن زمل بن عبد الله - ويقال : ابن زمل بن عمرو - السكسي

من أهل بيت لهيا ، من قرى دمشق .

حدث عن أبي أسماء السكسي عن عمرو بن مرة الجهني قال : قال رسول الله ﷺ :
« من كذب علي معتدداً فليتبوأ مقعده من النار » .

قال الضحاك بن زمل :

إن معاوية قال لزياد : ما بلغ من سياستك يا أبا المغيرة ؟ قال : أقتهم بعد
جَنَفٍ^(١) ، وكففتهم عما لا يعرف بما يعرف ، فأذعن المعاند عن الحق رغبة ، وخضع المبتدع
رهبة . قال : وبم صيرتهم إلى ذلك ؟ قال : بالمرهقات القواضب ، أمضيتها بالعزم ، يتبعه
الحزم . قال : لكنني ضبطت [٥٧/أ] ملكي بالحلم عند انبراء القوي الألد مع توددي إلى
العامّة ، وأداء حقوقهم ، وتعقيب بعوئهم ، فاست لي الصدور عفواً ، وانتقادات الإحنة
طوعاً . فأنا أسوس منك . قال : صدقت .

(١) الجنف : الميل والجور . اللسان : جنف .

قال الضحاك بن زمل :

شهدت سليمان بن عبد الملك وهو يعرض الخيل بدابق ، فقام إليه رجل فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن « أبينا » هلك ، وعمد « أخانا » فأخذ « مائنا » فقال : لا رحم الله
أباك ، ولا أجر أخاك ، ولا ردّ عليك مالك . يا غلام ، السوط . قال : فأول سوط ضرب
قال : بسم الله . قال : دعوا عدو الله ، لو كان تاركاً للحن في وقت لتركه الآن .

قال الضحاك بن زمل يزيد بن عبد الملك^(١) : [الطويل]

حليم إذا مانال عاقب مجملأ أشدّ العقاب أو عفا لم يُثرب
فغفوا أمير المؤمنين وحسبة فما تحسب من صالح لك يكتب
أسأؤوا فإن تعف فإنك قادر وأفضل حلم حسبة حلم مغضب
وقيل : هذه الأبيات لكثير عزة .

قال خليفة العصري :

لما أدخلوا آل المهلب بن أبي صفرة على يزيد بن عبد الملك قام كثير بن أبي جمعة
الذي يقال له كثير عزة ، فقال :

حليم إذا مانال عاقب مجملأ

الأبيات . وأردفها^(٢) :

نفّتهم قريش عن حلة واسط وذو يمن بالمشرف المشطّب
فقال يزيد : أطّت^(٣) بك الرحم . ولا سبيل إلى ذلك . من كان له قبل آل المهلب
دم فليقم . ودفعهم إليهم حتى قُتل نحو من ثمانين .

(١) الأبيات في ديوان كثير ١٤٧/٢

(٢) ليس البيت في الديوان .

(٣) من الحجاز : أطّت بك الرحم . أي : رقت وحنّت . أساس البلاغة : أطط .

٨٠ - الضحاك بن عبد الله

أبو محمد - وقيل : أبو شيبة - الهندي

مولى أبي منصور المطرّز الهروي . قدم دمشق ، وحدث بها [٥٧/ب] وبصور .

حدث عن علي بن محمد الطرازي بسنده عن حكيم بن حزام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
اليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى . وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

وفي رواية أخرى ، وزاد :

وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستغفّر يَغْفِرْهُ الله ، ومن استغنى أغناه
الله .

٨١ - الضحاك بن عبد الرحمن بن أبي حوشب

- ويقال : ابن حوشب بن أبي حوشب - أبو زرعة -

ويقال : أبو بشر - النصري

حدث عن القاسم بن مَخْمَرَةَ قال :

تعلّم النحو أوله شغل وآخره بغي .

وحدث عن بلال بن سعد أنه قال في موعظته :

عباد^(١) الرحمن ؛ لو سلمتم من الخطايا فلم تعملوا فيما بينكم وبين الله خطيئة ، ولم
تركوا لله طاعة إلا جهدتم أنفسكم في أدائها إلا حَبَكُم الدنيا لوسِعكم ذلك شراً إلا أن يتجاوز
الله ويعفو .

كان الضحاك ثقة .

(١) اللفظة مضطربة الرسم في الأصل ، ولذلك أعيدت في الهامش وفوقها كلمة : « بيان » .

٨٢ - الضحّاك بن عبد الرحمن بن عزرب

- ويقال : عزرم - أبو عبد الرحمن الأشعري

من أهل الأردن . استعمله عمر بن عبد العزيز على دمشق . ومات عمر بن عبد العزيز وهو والٍ عليها . وكان من خير الولاة .

حدث عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن أول ما يسأل الله عنه العبد يوم القيامة من النعم أن يقال له : ألم نصحّ جسمك ونبروك من الماء البارد ؟ » .

٨٣ - الضحّاك بن فيروز الديلمي

حدث عن أبيه قال :

قلت : يا رسول الله ، إني أسلمت وعندي أختان ، فقال له رسول الله ﷺ : طلق أيتها شئت .

٨٤ - الضحّاك بن قيس بن خالد الأكبر

- ابن [٥٨ / ١] وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان

ابن محارب بن فهر بن مالك ، أبو أنيس

- ويقال : أبو أمية - ويقال : أبو عبد الرحمن

- ويقال : أبو سعيد - القرشي الفهري

له صحبة ، حدث عن سيدنا رسول الله ﷺ ، ويقال : إنه لاصحبه له . شهد فتح دمشق ، وسكنها إلى آخر عمره . وشهد صفين مع معاوية . وكان على أهل دمشق ، وهم القلب . وغلب على دمشق ، ودعا إلى بيعته ابن الزبير . ثم دعا إلى نفسه .

حدث معاوية بن أبي سفيان - وهو على المنبر - قال : حدثني الضحّاك بن قيس - وهو عدل على نفسه - أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يزال والٍ من قریش » .

وفي رواية :

« لا يزال على الناس وال من قریش » .

وحدث الضحاک بن قیس قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله تبارک وتعالى يقول : أنا خير شريك . فمن أشرك معي شيئاً فهو لشريكي .
يا أيها الناس ، أخلصوا أعمالكم لله تعالى . فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له . ولا
تقولوا : هذا لله وللرحم .

وفي حديث بمعناه :

فإذا أحدكم أعطى عطية ، أو عفا عن مظنة ، أو وصل رحمه فلا يقولن : هذا لله ،
بلسانه . ولكن يعلم بقلبه .

وعن الضحاک بن قیس^(١) قال :

كانت أم عطية خافضة بالمدينة . فقال لها النبي ﷺ :

« إذا خففت فلا تنهكي ، فإنه أحطى للزوج ، وأسرى للوجه »^(٢) .

وعن الحسن

أن الضحاک بن قیس كتب إلى قیس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية :

سلام عليك . أما بعد . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، فتناً كقطع الدخان ، يموت فيها قلب
الرجل كما يموت بدنه . يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً .
يبيع أقوام خلاقتهم ودينهم بعرض من الدنيا قليل . وإن يزيد بن معاوية قد مات ، وأنتم
إخواننا وأشقائنا ، فلا تسبقونا [٥٨/ب] حتى نحتال لأنفسنا .

كان الضحاک مع معاوية ، فولاه الكوفة ، وهو الذي صلى على معاوية ، وقام

(١) مِيز ابن حجر العسقلاني بين الضحاک بن قیس الفهري ، وبين الضحاک بن قیس راوي هذا الحديث . قال :

« فَرَّق ابن معين بينه وبين الفهري ، وتبعه الخطيب في التفرق والمفترق » . انظر تهذيب التهذيب ٤/٤٤٩

(٢) كذا في الأصل مضبوطاً بالشكل . وفي ابن عساكر (نسخة س) للزوجة . وورد الحديث بغير هذه الرواية
في سنن أبي داود ٣٦٨/٤ : « لاتنهكي فإن ذلك أحطى للمرأة وأحب إلى البعل » .

بخلافته حتى قدم يزيد بن معاوية . وكان قد دعا لابن الزبير ، وباع له . ثم دعا إلى نفسه فقتله مروان بن الحكم يوم مرج راهط سنة خمس أو أربع وستين . وكان على شرط معاوية ، وفي نيت أخته فاطمة بنت قيس اجتمع أهل الثوري ، وخطبوا خطبهم الماثورة ، وكانت امرأة نجوداً . والنجود : النبيلة .

وأم الضحاك أمية بنت ربيع بن حذيم بن عامر بن مَبْذُول بن الأحمر بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة .

ولد الضحاك قبل وفاة سيدنا رسول الله ﷺ بست أو نحوها .

وفاطمة بنت قيس أخت الضحاك ، وكانت أكبر منه بعشر سنين .

وعن معمر

أن الضحاك بن قيس أمر غلاماً قبل^(١) أن يحتلم فضلى بالناس ، فقليل له : أفعلت ذلك ؟! قال الضحاك : إن معه من القرآن ما ليس معي . فإنا قدمت القرآن .

قال معمر :

ويبلغني أن غلاماً في عهد النبي ﷺ كان يصلي ولم يحتلم ، وكان أكثرهم قرأناً .

كان الضحاك بن قيس على الكوفة ، فخطب قاعداً ، فقام كعب بن عجرة فقال : لم أر كاليوم قط إمام قوم مسلمين يخطب قاعداً !

وعن الضحاك

أنه سجد في ﴿ ص ﴾ في الخطبة ، وعلقمة وأصحاب عبد الله وراءه فلم يسجدوا .

وعن الضحاك بن قيس

أنه كان على دمشق ، فجاءه المؤذن فلم عليه ، وقال له المؤذن : إني لأحبك لله عز وجل ، فقال له الضحاك : ولكني أبغضك لله . قال : ولم تبغضني أصلحك الله ؟! فقال : لأنك تتزاهى بتأذيتك ، وتأخذ أجراً على تعليمك . وكان معلم كتاب .

(١) استدركت اللفظة في هامش الأصل ، وفوقها : « صح » .

لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان اختلف الناس بالشام . فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير بجمص . دعا إلى ابن الزبير ، ودعا زُفر بن الحارث بقُتَسرِين لابن الزبير ، ودعا الضحاك بن قيس [٥٩/أ] الفهري بدمشق إلى ابن الزبير سراً لمكان مَن بها من بني أمية وكتب . وبلغ حسان بن مالك بن مجدل ذلك وهو بفلسطين . وكان هواه في خالد بن يزيد ، فأمسك ، وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يعظم فيه حق بني أمية وبلاءهم عنده ، ويذم ابن الزبير ، ويذكر خلافه ومفارقة الجماعة ، ويدعو إلى أن يبايع إلى رجل من بني حرب . وبعث بالكتاب إليه مع ناغضة بن كريب الطابخي ، وأعطاه نسخة الكتاب وقال : إن قرأ الضحاك كتابي على الناس ، وإلا فاقراه أنت ، وكتب إلى بني أمية يعلمهم ما كتب به إلى الضحاك ، وما أمر به ناغضة ، ويأمرهم أن يحضروا ذلك . فلم يقرأ الضحاك كتاب حسان ، فكان في ذلك اختلاف وكلام ، فسكتهم خالد بن يزيد ، ونزل الضحاك فدخل الدار . فمكثوا أياماً ، ثم خرج الضحاك ذات [يوم] ^(١) فضلى بالناس صلاة الصبح ، ثم ذكر يزيد بن معاوية فشتمه ، فقام إليه رجل من كلب فضربه بعضاً ، واقتتل الناس بالسيوف ، ودخل الضحاك دار الإمارة ، فلم يخرج ، واقترب الناس ثلاث فرق : فرقة زبيرية ، وفرقة بحدلية - هواهم لبني حرب - والباقيون لايبالون لمن كان الأمر من بني أمية . وأرادوا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على البيعة له . فأبي ، وهلك تلك الليالي . فأرسل الضحاك بن قيس إلى بني أمية . فأثام مروان بن الحكم وعمرو بن ^(٢) سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فاعتذر إليهم ، وذكر حسن بلائهم عنده ، وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه ، وقال : اكتبوا إلى حسان بن مالك بن مجدل حتى ينزل الجابية ، ثم نسير إليه فنستخلف رجلاً منكم ، فكتبوا إلى حسان ، فنزل الجابية ، وخرج الضحاك بن قيس وبنو أمية يريدون الجابية . فلما استقلت الرايات موجهة قال معن بن ثور السلمي ومن معه من قيس : دعوتنا إلى بيعة رجل أحزم الناس رأياً وفضلاً وبأساً . فلما أجبناك [٥٩/ب] خرجت إلى هذا الأعرابي

(١) الاستدراك من ابن عساكر .

(٢) في الأصل : عمرو ، وسعيد . خطأ . وسوف يرد الاسم صحيحاً بعد . وليس عمرو ، وسعيد من أبناء

يزيد بن معاوية . وانظر الجهرة ١١٢ ، وابن عساكر (نسخة م) .

من كلب تبائع لابن أخته ! قال : فتقولون ماذا ؟ قالوا^(١) : نصرف الرايات ، وتنزل فنظهر البيعة لابن الزبير ، ففعل . وبإياعه الناس . وبلغ ابن الزبير فكتب إلى الضحاك بعهده على الشام ، وأخرج من كان بمكة من بني أمية . وكتب إلى من بالمدينة بإخراج من بها من بني أمية إلى الشام . وكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأتوه .

فلما رأى ذلك مروان خرج يريد ابن الزبير ليبياع له ويأخذ منه أماناً لبني أمية ، وخرج معه عمرو بن سعيد ، فلقاهم عبيد الله بن زياد بأذرعات مقبلاً من العراق ، فأخبروه بما أرادوا ، فقال لمروان : سبحان الله ، أراضيت لنفسك بهذا ؟ تبائع لأبي حبيب وأنت سيد قريش ، وشيخ بني عبد مناف ؟ ! والله لأنت أولى بها منه . فقال له مروان : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن ترجع وتدعو إلى نفسك ، وأنا أكفيك قريشاً ومواليها ، فلا يخالفك منهم أحد . فرجع مروان وعمرو بن سعيد ، وقدم عبيد الله بن زياد دمشق فنزل بباب الفراديس ، فكان يركب إلى الضحاك كل يوم فيسلم عليه ، ثم يرجع إلى منزله . فعرض له يوماً في مسيره رجل قطعنه بحربة في ظهره وعليه الدرع ، فأثبت الحربة ، فرجع عبيد الله إلى منزله . وأقام ولم يركب إلى الضحاك . فأتاه الضحاك إلى منزله ، فاعتذر إليه . وأتاه بالرجل الذي طعنه فعفا عنه عبيد الله ، وقبل من الضحاك ، وعاد عبيد الله يركب إلى الضحاك في كل يوم ، فقال له يوماً : يا أبا أنيس ، العجب لك - وأنت شيخ قريش - تدعو لابن الزبير وتدع نفسك ، وأنت أرضى عند الناس منه ، لأنك لم تزل متمسكاً بالطاعة والجماعة ، وابن الزبير مشاق ، مفارق ، مخالف . فادع إلى نفسك ، فدعا إلى نفسه ثلاثة أيام . فقالوا له : أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم دعوتنا إلى خلعنا من غير حدث أحدثه ، والبيعة لك ؟ وامتنعوا عليه . فلما رأى ذلك الضحاك عاد إلى الدعاء إلى ابن الزبير [٦٠/أ] فأفسده ذلك عند الناس ، وغيّر قلوبهم عليه ، فقال له عبيد الله بن زياد : من أراد ماتريد لم ينزل المدائن والحصون يتبرز ويجمع إليه الخيل ، فأخرج عن دمشق وضم إليك الأجناد . وكان ذلك من عبيد الله بن زياد مكيدة له ، فخرج الضحاك فنزل المرح ، وبقي عبيد الله بدمشق ، ومروان وبني أمية بتدمر ، وخالد

(١) في الأصل : قال . وأثبتنا رواية ابن عساكر (نسخة س) .

وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية بالجابية عند حسان بن مالك بن مجدل . فكتب عبيد الله إلى مروان أن ادعُ الناس إلى بيعتك ، ثم سر إلى الضحاك . فقد أصحرك . فدعا مروان بني أمية فبايعوه ، وتزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ، وهي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، واجتمع الناس على بيعه مروان فبايعوه . وخرج عبيد الله حتى نزل المرج ، وكتب إلى مروان ، فأقبل في خسة آلاف ، وأقبل عبيد الله بن زياد من حَوَارِين^(١) في ألفين من مواليه وغيرهم من كلب ، ويزيد بن أبي النمس بدمشق قد أخرج عامل الضحاك منها . وأمد مروان بسلاح ورجال . وكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ، فقدم عليه زفر بن الحارث الكلبي من قَسْرِين ، وأمه النعمان بن بشير الأنصاري بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، فتوافقوا عند الضحاك بالمرج . فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، ومروان في ثلاثة عشر ألفاً ، أكثرهم رجالة . ولم يكن في عسكر مروان غير ثمانين عتيقاً : أربعون منها لعباد بن زياد ، وأربعون لساير الناس . فأقاموا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون في كل يوم ، ويقتتلون . فقال عبيد الله بن زياد يوماً لمروان : إنك على حق ، وابن الزبير ومن دعا إليه على باطل ، وهم أكثر منك عدداً وعدة^(٢) ، ومع الضحاك فرسان قيس ، فأنت لاتنال منهم ماتريد إلا بمكيدة ، فكيدهم ، فقد أحلّ الله ذلك لأهل الحق . [٦٠/ب] والحرب خدعة ، فادعهم إلى المودعة ووضع الحرب حتى تنظر . فإذا آمنوا وكفوا عن القتال فكّرْ عليهم . فأرسل مروان إلى الضحاك يدعوه إلى المودعة ووضع الحرب حتى ينظر ، فأصبح الضحاك والقيسية فأمسكوا عن القتال ، وهم يطمعون أن مروان يبائع لابن الزبير ، وقد أعد مروان أصحابه . فلم يشعر الضحاك وأصحابه إلا بالخليل قد شدت عليهم ، ففرغ الناس إلى راياتهم وقد غشوم وهم على غير عدة ، فنادى الناس : يا أبا أنيس ، أعجزاً بعد كيس ، فقال الضحاك : نعم أنا أبو أنيس ، عجز لعمرى بعد كيس ، فاقتتلوا ، ولزم الناس راياتهم ، وصبروا وصبر الضحاك ، فترجل مروان وقال : قبح الله من يؤلّيه اليوم ظهره ، حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين ، فقتل

(١) في سير أعلام النبلاء ٢٤٤/٣ : وهي ابنة هاشم بن عتبة . وانظر الطبري ٥٤١/٥ : والجمهرة ٧٧

(٢) قال ياقوت : « بالضم وتشديد الواو ، ويختلف في الراء ، فمنه من يكبرها ، ومنه من يفتحها : حصن من

ناحية حصن » .

(٣) اللفظة مضطربة الرسم في الأصل وابن عساكر وأئتنا رواية بدران في تهذيبه ١٢/٧

الضحاك بن قيس - ^(١) قُتِلَ رجل من كلب ، يقال له رَحْمَةُ بن عبيد الله ^(٢) - وصبرت قيس عند راياتها ، يقاتلون عندها . فنظر رجل من بني عقيل إلى ماتلقى قيس عند راياتها من القتل فقال : اللهم ، العنهما من رايات ، واعترضها بسيفه فجعل يقطعها ، فإذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزم الناس فنادى منادي مروان : لاتتبعوا مولياً . فأمسك عنهم . وقتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم تقتله في موطن قط . وكانت وقعة مرج راهط في نصف ذي الحجة سنة أربع وستين .

ولما بلغ ابن الزبير قتل مروان الضحاك بمرج راهط قام خطيباً فقال : إن ثعلب بن ثعلب حفر بالصَّخْصَحة ^(٣) فأخطأت استه الحفرة . والْهَفْ أم لم تلدني على رجل من محارب كان يرعى في جبال مكة . فبأني بالضَّربة ^(٤) من اللين فيتبعها بالقبضة من الدقيق ، فيرى ذلك سداداً من عيش ، ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثه النبوة .

٨٥ - الضحاك

- ويقال : صخر - بن قيس بن معاوية بن حصين

وهو مقاعس بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن

[١/٦١] الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

أبو بحر التميمي

أدرك عصر سيدنا رسول الله ﷺ ودعا له ^(٥) . ولم يره : وشهد صفين مع علي عليه السلام أميراً . وقدم دمشق ، ورأى بها أبا ذر ، رضي الله عنه ، وقدم على معاوية في خلافته أيضاً . وهو المعروف بالأحنف . وكان سيد أهل البصرة .

(١-٢) ما بين الرقين مستدرک في هامش الأصل . وبعده : « صح » .

(٣) الصخصة : البرية . اللان : صحح . وهذا مثل للعرب تضربه فيمن لم يصب موضع حاجته . يعني أن

الضحاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها .

(٤) في هامش الأصل قوله : « الضربة : اللين الحامض » وفوقه : « صح » .

(٥) عبارة « ودعا له » مستدركة في هامش الأصل . وبعدها : « صح » .

حدث الأحنف بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال :
ألا هلك المتنظعون : قالها ثلاث مرات .

وفي رواية :

ألا هلك المتكبرون . قالها ثلاثاً .

قال الأحنف بن قيس :

دخلت مسجد دمشق فإذا أنا برجل يصلي يكثر الركوع والسجود ، فقلت : لَأَنْتَهِي
حتى أنظر أيدري على شفع ينصرف أو على وتر ؟ فلما انصرف قلت له : أتدري على شفع
تنصرف أم على وتر ؟ قال : إن لم أدرفإن الله هو يدري . حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ
ثم بكى ، ثم قال : حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ^(١) ثم بكى ، ثم قال : حدثني خليلي أبو
القاسم ﷺ ثم بكى قال : ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحطّ عنه بها
سيئة ، فتقاصرت إلي نفسي فإذا هو أبو ذر .

وقد روي أن ذلك كان في مسجد حمص . وقد روي أن ذلك في مسجد بيت
المقدس ، وفيه زيادة : رفعه الله بها درجة وحطّ عنه بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة .

وكان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير ، فوفد عليه بالكوفة ، ومصعب بن الزبير
يومئذ والٍ عليها ، فتوفي الأحنف عنده بالكوفة ، فزُني مصعب في جنازته يمشي بغير رداء
سنة سبع وستين .^(٢) وقيل سنة اثنتين وسبعين^(٣) . وصلى عليه مصعب .

وكانت أم الأحنف امرأة من باهلة يقال لها حَبَّة بنت ثعلبة بن قرط بن قرواش^(٤) .

وكان الأحنف أحنف الرجلين جميعاً ، ولم يكن له [٦١/ب] إلا بيضة واحدة .
وكانت أمه ترقّصه وتقول : [الرجز]

وَاللّٰهُ لَسَوَلَا حَنْفٌ بِرَجْلَيْهِ وَقَلَّةٌ أَخَافُهَا مِنْ نَسْلِهِ

مَا كَانَ فِي قَتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ

(١) عبارة الصلاة على النبي مستدركة في هامش الأصل .

(٢-٣) ما بين الرقین مستدرك في هامش الأصل .

(٣) كذا في الأصل . وفي الإكمال ٢/٣٢٠ : « قرواش » .

وقد اختلف في اسمه ، فقليل : الضحاك ، وقيل صخر ، وقيل : الحارث ، وقيل : حصين . ووفد إلى عمر بن الخطاب . وهو الذي افتتح مَرْوَرُودَ .

حدث الأحنف قال :

بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان إذ لقيني رجل من بني ليث ، فأخذ بيدي فقال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى . قال : أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ ساعياً إلى بني سعد ؟ فسألوني عن الإسلام ، فجعلت أخبرهم وأدعهم إلى الإسلام ، فقلت : إنك تدعو إلى خير ، وما أسمع إلا حسناً ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : اللهم ، اغفر للأحنف . فكان الأحنف يقول : فما شيء أرجى عندي من ذلك . يعني : دعوة النبي ﷺ .

وحدث الأحنف

أنه قدم على عمر بن الخطاب بفتح تُسْتَر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فتح عليك تُسْتَر ، وهي من أرض البصرة . فقال رجل من المهاجرين : يا أمير المؤمنين ، إن هذا - يعني الأحنف بن قيس - الذي كف عنا بني مرة حين بعثنا رسول الله ﷺ في صدقاتهم ، وقد كانوا هموا بنا . قال الأحنف : فحبسني عمر عنده بالمدينة سنة ، يأتيني في كل يوم ليلة ، فلا يأتيه عني إلا ما يحب . فلما كان رأس السنة دعاني ، فقال : يا أحنف : هل تدري لم حبستك عندي ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق ، فخشيت أن تكون منهم . فاحذر الله يا أحنف .

وفي حديث مختصر بمعناه :

فقال : يا أحنف ، إني قد بلوتك وخبرتك ، فرأيت علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك ، وإنا كنا نتحدث ، إنا يهلك هذه الأمة كل منافق علم .

[٦٢ / أ] قال أحمد بن صالح :

الأحنف بن قيس بصري ، تابعي ، ثقة . وكان سيد قومه . وكان أعور ، أحنف ، دميماً ، قصيراً ، كَوْجاً^(١) ، له بيضة واحدة . قال له عمر : ويحك يا أحنف ، لما رأيتك

(١) الكوسج : الذي لا شعر على عارضيه . وقال الأصمعي : هو الناقص الأسنان . معرب . اللسان : كسج .

ازدريتك : فلما نظقت فقلت : لعله منافق ، صنَّع اللسان . فلما اخترتك حمدتك ،
ولذلك حبستك . حبسه سنة يختبره . فقال عمر : هذا والله السيد .

وقال له عمر : كنت أخشى أن تكون منافقاً عالماً . وأرجو أن تكون مؤمناً . فانحدر
إلى مصرك .

قال عبد الله بن عبيد :

اتباع الأحنف ثوبين بصرين : ثوباً بستة عشر ، والآخر باثني عشر ، فقطعها
قيصين فجعل يلبس الذي أخذه بستة عشر في الطريق ، حتى إذا قدم المدينة خلعه ولبس
الذي أخذه باثني عشر . فدخل على عمر ، فجعل يسأله ، وينظر إلى قيصه ويمسحه ،
ويقول : يا أحنف ، بك أخذت قيصك هذا ؟ قال : أخذته باثني عشر درهماً . قال :
ويحك ! ألا كان بستة ، وكان فضله فيما تعلم ؟

قال الأحنف بن قيس :

ما كذبت منذ أسمت إلا مرة واحدة : كان عمر سألني عن ثوب : بك أخذته ؟
فأسقطت ثلثي الثمن .

قال الشعبي :

وقد أبو موسى وفداً من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب فيهم الأحنف بن قيس .
فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم في خاصّة نفسه ، وكان الأحنف في آخر القوم ،
فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أما بعد . يا أمير المؤمنين ، فإن
أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه ، وإن أهل الشام نزلوا منازل قيصر ، وإن أهل
الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار العذبة والجنان الخصب ، وفي مثل عين
البعير ، والحوار^(١) في السلى^(٢) . تأتيتهم ثارهم قبل أن تبلغ ، وإن أهل البصرة نزلوا في

(١) الحوار : ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل . وقيل : ساعة تضعه أمه خاصة . اللسان :

حور .

(٢) السلى : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه . اللسان : سلا .

سَبَخَةَ زَعَقَةٍ^(١) نَشَاشَةٍ^(٢) ، لا يَجِفُّ ثَرَاهَا ، ولا يَنْبُتُ مَرَعَاهَا ، طَرَفُهَا فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ، والطرف الآخر في الفلاة ، لا يَأْتِينَا شَيْءٌ إِلَّا فِي مِثْلِ مَرِيءِ النِّعَامَةِ ، فَارْفَعْ خَسِيسَتَنَا^(٣) ، وَأَنْعِشْ [٦٢ ب] وَكِيسَتَنَا^(٤) وَزِدْ فِي عِيَالِنَا عِيَالًا ، وَفِي رِجَالِنَا رِجَالًا ، وَأَصْغِرْ دَرَهْمَنَا وَأَكْثِرْ قَفِيزَنَا^(٥) ، وَمُرُّ لَنَا بِنَهْرٍ نَسْتَعَذُّبُ مِنْهُ الْمَاءَ . فَقَالَ عَمْرٌ : عَجَزْتُ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ هَذَا ؟! هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ . فَمَا زِلْتُ أَسْمَعُهَا بَعْدَ .

وكان أبو موسى حين قدم على عمر فسأله عما كان رفع إليه من أمره أحب أن يبحث عنه ، فلم يَقم أحد يكفيه الكلام ، فقام الأحنف بن قيس وكان من أشبههم فقال : يا أمير المؤمنين ، صاحبك مع رسول الله ﷺ في مواطن الحق ، وعاملتك ولم نر منه إلا خيراً ، وإنا أناس بين سَبَخَةٍ وبين بحر أجاج ، لا يأتينا طعامنا إلا في مثل حلقوم النعام . فأعد لنا قفيزنا ودرهمنا ، فأعجب منه ذلك عمر وأعرض عنه لحداثة سنّه ، فقال له : اجلس يا أحنف ، وكان برجله خنف ، فلذلك سماه الأحنف ، فقلب لقبه على اسمه ، فعرض عمر على الأحنف الجائزة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما قطعنا الفلوات ، ودأبنا الروحات العشيات للجوائز ! وما حاجتي إلا حاجة من خلّفت ، فزاده ذلك عند عمر خيراً . فرد عمر أبا موسى ومن معه . وحبس الأحنف عنده سنة ، وجعل عليه عيوناً ، فلم يسمع إلا خيراً ، فدعا به فقال : يا أحنف ، إنك قد أعجبتني ، وإنا حبستك لأعلم علمك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : احذروا المنافق العالم ، وأشفقت عليك منه ، فوجدتك بريئاً مما تخوفت عليك ، فسرّحه ، وأحسن جائزته . ثم قدم على أبي موسى ، فعرف ما كان منه إليه ، فلم يزل للأحنف شرف يعرف حتى خرج من الدنيا .

قال ابن سيرين :

بعث عمر بن الخطاب الأحنف بن قيس على جيش قَبِلَ خراسان فبیتهم العدو

(١) بَرَزَعَةٌ : مُرَّةٌ . اللسان : زَعَقٌ .

(٢) سَبَخَةٌ نَشَاشَةٌ وَشَنَاشَةٌ : تَنْبَرٌ بِالماء فينش ويعود ملعاً . اللسان : نَشَشٌ .

(٣) يقال : رفع الله خسيمة فلان إذا رفع حاله بعد انحطاطها . اللسان : خَسٌ .

(٤) الوكس : النقص . اللسان : وكس .

(٥) القفيز : من الكاكيل . اللسان : قَفَزٌ .

وفرقوا جيوشهم ، وكان الأحنف معهم ، ففرع الناس ، فكان أول من ركب الأحنف ومضى نحو الصوت وهو يقول : [الرجز]

إنْ على كلِّ رئيسٍ حقًّا أن يخبِضَ الصَّعدة^(١) أو تسدِّقا

[١/٦٣] ثم حل على صاحب الطبل فقتله ، وانهمز العدو ، فقتلوه وغنوا ، وفتحوا مدينة يقال لها : مَرْوَرُود . قالوا : ثم سار الأحنف بن قيس من مروروذ إلى بلخ فصالحوه على أربع مئة ألف . ثم أتى خوارزم ولم يُطَقِّها فرجع .

كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري :

أما بعد . فائذن للأحنف بن قيس ، وشاوره ، واسمع منه .

قيل للأحنف بن قيس : من أين أُوتيت ما أُوتيت من الخلم والوقار ؟ قال : بكلمات سمعتهن من عمر بن الخطاب . سمعت عمر يقول : يا أحنف ، من مَرَّحَ استُخِفَ به ، ومن ضحك قلَّتْ هيئته ، ومن أكثر من شيء عَرِفَ به ، ومن أكثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه مات قلبه .

قال الحسن :

مارأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف .

ذكر عمرُ بني تميم فذمهم ، فقال الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي فلا تكلم . قال : تكلم . قال : إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم ، وإنما هم من الناس ، فيهم الصالح والطالح ، فقال : صدقت ، وقفَى بقول حسن ، فقام الحُتَّات - وكان يناوئه - فقال : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي فلا تكلم . قال : اجلس ، فقد كفاكم سيدكم الأحنف .

قال سفيان :

ما وزن عقل الأحنف بعقل أحد إلا وزنه .

قيل للأحنف بن قيس : بأي شيء سَوَّدَكَ قومك ؟ قال : لوعاب الناس الماء لم أشربه .

(١) الصعدة : القنأة . والبيت في اللسان : صعد . وفي سير أعلام النبلاء ٩٠/٤ برواية « القنأة » بدلاً من

الصعدة .

قال مالك بن مسمع للأحنف بن قيس : يا أبا بحر ، ما أنتفع بالشاهد إذا غبت ، ولا أفتقد غائباً إذا شهدت . فكان البحري أَلَمَ بهذا المعنى فقال^(١) : [الطويل]

رحلت فلم نفرح بأويبة آيب	وأبت فلم نجزع لغيبه غائب
قدمت فأقدمت النهى يحمل الرضى	إلى كل غضبان على الدهر عاتب
فمادت بك الأيام زهراً كأنما	جلا الدهر منها عن حدود الكواعب

[٦٣ ب] قال خالد بن صفوان :

كان الأحنف بن قيس يفرُّ من الشرف ، والشرف يتبعه .

وعن خالد بن صفوان

أنه كان بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فغشيه الناس ، فكان خالد فين آتاه ، وكان العباس يصوم الاثنين والخميس . قال خالد : فدخلت عليه في يوم خميس فقال لي : يا بن الأهم ، خبرني عن تسويدكم للأحنف ، واتقيادكم له ، وكنتم حياً لم تملكوا في جاهلية قط . فقلت له : إن شئت أخبرتك عنه بخصلة لها سؤد ، وإن شئت بشتين ، وإن شئت بثلاث ، وإن شئت حدثتك عنه بقية عثيتك حتى تنقضي ، ولم تشعر بصومك . قال : هات الأولى ، فإن اكتفينا وإلا سألناك . قال : فقلت : كان أعظم من رأينا وسمعنا - ثم أدركني ذهني فقلت : غير الخلفاء - سلطاناً على نفسه في ما أراد حلها عليه ، وكفها عنه . قال : لقد ذكرتها نجلاء كافية . فما الثانية ؟ قلت : قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه ، ولا يكون بصيراً بالمحسن والمساوي ولم ير ولم يسمع بأحد أبصر بالمحسن والمساوي منه ، فلا يحمل السلطنة إلا على حسن ، ولا يكفها إلا عن قبيح . قال : قد جئت بصلة الأولى لا يصلح إلا بها . فما الثالثة ؟ قلت : قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيراً بالمحسن والمساوي ، ولا يكون حطيظاً ، فلا يفشوله ذلك في الناس ، فلا يذكر به ، فيكون عند الناس مشهوراً . قال : وأبيك ، لقد جئت بصلة الأوليين ، فما بقية ما يقطع عني العشي ؟ قلت : أيامه السالفة . قال : وما أيامه السالفة ؟ قلت : يوم فتح خراسان : اجتمعت إليه جموع

(١) الأبيات في الديوان ٩١/١ باختلاف في الرواية . وهي من قصيدة يمدح بها محمد بن علي الفهمي .

الأعاجم بمرور الروذ فجاء ما لا قتل له به ، وهو في منزل بمضيعة وقد بلغ الأمر به . فصل
عشاء الآخرة ، ودعا ربه ، وتضرع إليه أن يوفقه ثم خرج [٦٤/أ] يمشي في العسكر مشي
المكروب ، يتسمع ما يقول الناس ، فرّ بعيد يعجن وهو يقول لصاحب له : أتعجب
لأميرنا ، يقيم بالمسلمين في منزل مضيعة ، وقد جاء العدو من وجوه . وقد أطافوا
بالمسلمين من نواحيهم ، ثم اتخذوهم أغراضاً ، وله متحول ، فجعل الأحنف يقول : اللهم
وفق ، اللهم سدّد . فقال العبد للعبد : ها الحيلة ؟ قال : أن يُنادي الساعة بالرحيل ،
فإنما بينه وبين الغيضة فرسخ ، فيجعلها خلف ظهره فيمنعه الله بها ، فإذا امتنع ظهره بها
بعث بجنتيته اليمنى واليسرى فيمنع الله بها ناحيتيه ويلقى عدوه من جانب واحد . فخرّ
الأحنف ساجداً ثم نادى بالرحيل مكانه ، فارتحل المسلمون مكبين على رايتهم ، حتى أتى
الغيضة ، فنزل في قتلها^(١) ، وأصبح فأتاه العدو ، فلم يجدوا إليه سبيلاً إلا من وجه واحد
وضربوا بطبول أربعة ، فركب الأحنف ، وأخذ الراية ، وحمل بنفسه على طيل ففتقه
وقتل صاحبه ، وهو يقول :

إن على كلّ رئيس حقّاً — أن يخضب الصّعدة أو تندقّا

ففتق الطبول الأربعة ، وقتل حملتها . فلما فقد الأعاجم أصوات طبولهم انهزموا ، فركب
المسلمون أكتافهم ، فقتلوه قتلًا لم يقتلوا مثله قط . وكان الفتح .

واليوم الثاني أن علياً لما ظهر على أهل البصرة يوم الجمل أتاه الأشر وأهل الكوفة
بعدما اطمأن به المنزل ، وأنحن في القتل ، فقالوا : أعطنا ، إن كنا قاتلنا أهل البصرة حين
قاتلناهم وهم مؤمنون فقد ركبنا حوباً كبيراً ، وإن كنا قاتلناهم كفاراً وظهرنا عليهم غنوة
فقد حلت لنا غنية أموالهم وسي ذراريهم ، وذلك حكم الله تعالى وحكم نبيّه في الكفار إذا
ظهر عليهم . فقال علي : إنه لا حاجة بكم أن تهيجوا حرب إخوانكم ، وسأرسل إلى رجل
منهم [٦٤/ب] فأستطلع برأيهم وحجتهم فيما قلتم ، فأرسل إلى الأحنف بن قيس في رهط ،
فأخبرهم بما قال أهل الكوفة . فلم ينطق أحد غير الأحنف ، فإنه قال : يا أمير المؤمنين ،
لماذا أرسلت إلينا ؟! فوالله إن الجواب عنا لعندك ، ولا نتبع الحق إلا بك ، ولا علمنا العلم

(١) النقبيل : ما ارتفع من جبل أو رمل أو علو من الأرض . اللسان : قبل .

إلا منك . قال : أحببت أن يكون الجواب عنكم منكم ليكون أثبت للحجة ، وأقطع للتهمة فقل . فقال : إنهم قد أخطؤوا وخالفوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إنما كان السبي والغنية على الكفار الذين دارهم دار كفر . والكفر لهم جامع ، ولذرائعهم . ولنا كذلك . وإنها دار إيمان يُنادى فيها بالتوحيد وشهادة الحق وإقام الصلاة . وإنما يفت طائفة أساؤهم معلومة ، أسماء أهل البغي ، والثانية حجتنا أنا لم نستجمع على ذلك البغي ، فإنه قد كان من أنصارك من أثبتهم بصيرة في حقك ، وأعظمهم غناء عنك ، طائفة من أهل البصرة ، فأى أولئك يجهل حقه وينسى قرابته ؟ إن هذا الذي أذاك به الأشتر وأصحابه قول متعلمة أهل الكوفة ، وإيم الله ، لكن تعرضوا لها لتكرهن عاقبتها ، ولا تكون الآخرة كالأولى . فقال علي : ما قلت إلا ما تعرف . فهل من شيء تحصون به إخوانكم بما قاسوا من الحرب ؟ قال : نعم ، أعطيتنا في بيت المال . ولم تك لتصرفها في عدلك عنا . فقد طبنا عنها نفساً في هذا العام ، فاقسمها فيهم . فدعاهم علي ، فأخبرهم بحجج القوم ، وما قالوا ، وبموافقتهم إياه . ثم قسم المال بينهم : خمس مئة لكل رجل . فهذا اليوم الثاني .

وأما اليوم الثالث فإن زياداً أرسل إليه بليل وهو جالس على كرسي في صحن داره ، فقال : يا أبا بحر ، ما أرسلت إليك في أمر تنازعني فيه مخلوجة^(١) ، ولكني أرسلت إليك وأنا على صريمة^(٢) ، فكرهت أن يروعك أمر يحدث [١٦٥ / ١] ولا تعلمه . قال : فما هو ؟ قال : هذه الحمراء قد كثرت بين أظهر المسلمين ، وكثر عددهم ، وخفت عدوتهم ، والمسلمون في ثغرهم وجهادهم عدوهم ، وقد خلفوهم في نسائهم وحرمةهم ، فأردت أن أرسل إلى كل من كان في عرافة من المقاتلة فيأتوا بسلاحهم ، ويأتيني كل عريف بن في عرافته من عبد أو مولى فأضرب رقابهم فتؤمن ناحيتهم . قال الأحنف : ففيم القول وأنت على صريمة ؟ قال : لتقولن . قال : فإن ذلك ليس لك . يمنعك من ذلك خصال ثلاث : أما الأولى فحكم الله عز وجل في كتابه عن الله ، وما قتل رسول الله ﷺ من الناس من قال : لا إله إلا الله وشهد أن محمداً رسول الله ، بل حقن دمه . والثانية أنهم غلة الناس ، لم يغز غازٍ خلف لأهله ما يصلحهم إلا من غلاتهم ، وليس لك أن تحرمهم . وأما الثالثة فهم يقيمون أسواق

(١) يقال : وقعوا في مخلوجة من أمرهم أي اختلاط . اللسان : خليج .

(٢) الصريمة : العزيمة على الشيء وقطع الأمر . اللسان : صرم .

المسلمين ، أفتجعل العرب يقيمون أسواقهم قَصَايِن وقَصَارِين وحجَّامِين ؟! قال : فوثب عن كرسيه ، ولم يعلمه أنه قَبِلَ منه ، وانصرف الأحنف .

قال : فما بَتَّ بليلةٍ أطول منها ، أَسَمِعَ الأصوات . قال : فلما نادى أول المؤذنين قال لمولى له : أئت المسجد فانظر هل حدث أمر ؟ فرجع فقال : صلى الأمير وانصرف ، ولم يحدث إلا خير .

كان الأحنف استعمل على خراسان . فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة . قال : فلم يوقظ أحداً من غلمانِه ولا جنده ، وانطلق يطلب الماء . قال : فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دماً ، فوجد الثلج . قال : فكسره واغتسل . قال : فقام فوجد على ثيابه نعلين محذوتين^(١) جديدتين فلبسهما . فلما أصبح أخبر أصحابه . فقالوا : والله ما علمنا بك .

قال مغيرة :

شكا ابن أخي الأحنف بن قيس وجعاً بضره فقال الأحنف : [٦٥/ب] لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ، فما ذكرتها لأحد .

دخل الأحنف بن قيس على معاوية فقال : أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين ، والمخذل عن أم المؤمنين ؟! فقال : يا معاوية ، لا ترد الأمور على أدبارها ، فإن السيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ، والقلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا ، والله لا تمد إلينا شبراً من غدر إلا مددنا إليك ذراعاً من ختر^(٢) ، ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو من عقوك . قال : فإني أفعل .

قال الأحنف :

ما تازعني أحد قط إلا أخذت في أمري بثلاث خلال : إن كان فوق عرفت له قدره ، وإن كان دوني رفعت قدرتي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

(١) حذا النعل حذواً وحذاء : قدرها وقطعها . اللسان : حذا .

(٢) الختر : قيل : أسوأ الغدر وأقبحه . اللسان : ختر .

قال الأحنف بن قيس :

من كانت فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع : من كان له دين يحجزه ، وحسب يصونه ، وعقل يرشده ، وحياء يمنعه .

قال الأحنف لرجل سأله : ما الحلم ؟ فقال :

هو الذلّ تصبر عليه .

قال الأحنف :

ليس فضل الحلم أن تظلم فتحلم حتى إذا قدرت انتقم ، ولكنه إذا ظلمت فحلمت ثم قدرت فعفوت .

قال الأحنف بن قيس :

ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنيء ، وبرّ من فاجر ، وحليم من أحق .

قال الأحنف :

ليس لكذب مروءة ، ولا لبخيل حياء ، ولا لحاسد راحة ، ولا لسيء الخلق سؤدد ، ولا لملول وفاء .

قال رجل للأحنف بن قيس : يا أبا بحر ، دئني على أحد أمر عاقبة ، فقال له : خالق الناس بخلق حسن ، وكفّ عن القبيح . ثم قال له : ألا أدلك على أدوأ الداء ؟ قال : بلى . قال : اكتساب الذم بلامنفعة ، واللسان البذيء ، والخلق الرديء .

قال الأحنف بن قيس :

من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .

قيل للأحنف : [١/٦٦ أ] ما المروءة ؟ قال : ألا تعمل في السر شيئاً تستحي منه في العلانية .

سأل يزيد بن معاوية الأحنف بن قيس عن المروءة فقال الأحنف : التقى والاحتمال . ثم أطرق الأحنف ساعة وقال : [مجزوء الكامل]

وإذا جميلُ الوجه لم يأتِ الجميلُ فما جماله ؟

مَا خَيْرُ أَخْلَاقٍ الْفَقِي إِلَّا تَقْوَاهُ وَاحْتِمَالُهُ

فقال يزيد : أحسنت يا أبا بجر ، وافق اليم زيرا^(١) ، قال الأحنف : ألا قلت : وافق المعنى تفسيراً ؟ .

قال الأحنف بن قيس :

رأس الأدب آلة المنطق ، ولا خير في قول إلا بفعل ، ولا في منظر إلا بخبر ، ولا في مال إلا بجود ، ولا في صديق إلا بوفاء ، ولا في فقه إلا بورع ، ولا في صدقة إلا بنية ، ولا في حياة إلا بأمن وصحة .

تذاكر قوم الصمت والكلام ، فقال قوم : الصمت أفضل ، فقال الأحنف : المنطق أفضل ، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه .

قال الأحنف :

ثلاث خصال تجتلب بين المحبة : الإنصاف في المعاشرة ، والمواساة في الشدة ، والانطواء على المودة .

قال الأحنف بن قيس :

إن غاصب الدنيا وظالمها أهلها ، والمدعي ماليس له منها على قلبها - وإن كان عاين المكان من سلطانها - لأقل منها وأذل .

كتب الأحنف إلى صديق له :

أما بعد . فإذا قديم عليك أخ لك موافق فليكن منك بمنزلة السمع والبصر ، فإن الأنموافق أفضل من الولد المخالف . ألم تسمع الله يقول لنوح في ابنه : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾^(٢)

رأى الأحنف في يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال : لي ، فقال الأحنف : ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر . ثم تمثّل : [الرمل]

(١) اليم : الوتر الغليظ من أوتار المزاهر . والزير من الأوتار : الدقيق . اللسان : يم ، زور .

(٢) سورة هود ١١/٤٦

أنتَ للمالِ إذا أمسكتَه وإذا أنفقتَه فالمالُ لكُ

[٦٦/ب] قال الأحنف بن قيس :

ماخان شريف ، ولا كذب عاقل ، ولا اغتاب مؤمن .

قال الأحنف :

الرفق والأناة محبوبة إلا في ثلاث : تبادر بالعمل الصالح ، وتعجل إخراج ميتك ، وتنكح الكفء أيمنك .

قال الأحنف :

لا ينبغي للعاقل أن ينزل بليداً ليس فيه خمس خصال : سلطان قاهر ، وقاض عادل ، وسوق قائمة ، ونهر جار ، وطبيب عالم .

قال الأحنف :

من السؤدد الصبر على الذل ، وكفى بالحلم ناصراً .

قال الأحنف بن قيس :

جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام ، فإنني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لفرجه وبطنه . وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي .

قال عمر بن الخطاب للأحنف بن قيس : أي الطعام أحب إليك ؟ قال : الزبد والكأة ، فقال عمر : ماها بأحب الطعام إليه . ولكنه يحب خصب المسلمين . يعني أن الزبد والكأة لا تكونان إلا في سنة الخصب .

قال الأحنف بن قيس :

سمعت خطبة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعد ، فما سمعت الكلام من في مخلوق أفخم ولا أحسن من عائشة أم المؤمنين .

قال عتبة بن مسعدة :

رأيت مصعب بن الزبير في جنازة الأحنف متقلداً سيفاً ، ليس عليه رداء وهو يقول : ذهب اليوم الخزم والرأي .

توفي الأحنف سنة سبع وستين ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين .

قال عبد الرحمن بن غفارة بن عقبة بن أبي مُعيط :

حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة فكانت فين نزل قبره . فلما سَوَّيْتِه رأيتُه
قد فُسِحَ له مدَّ بصري ، فأخبرت بذلك أصحابي فلم يروا ما رأيت .

٨٦ - الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع

ابن رُفيع بن الأسود بن عمرو بن رألان بن هلال بن ثعلبة بن شيان ،

أبو عاصم الشيباني البصري ، المعروف بالنبيل

حدث عن حفظة بن أبي سفيان عن القاسم عن عائشة :

أن رسول الله ﷺ كان يغتسل من جنابة ، فيأخذ حفنة لشقِّ رأسه الأيمن ، ثم يأخذ
حفنة لشقِّ رأسه الأيسر .

ولد الضحاك سنة إحدى وعشرين . وقيل : سنة اثنتين وعشرين ومئة . وقال :
ولدت أُمِّي في سنة عشر ومئة ، وولدت سنة اثنتين وعشرين ومئة . ومات سنة اثنتي
عشرة ومئتين ، وهو ابن تسعين وأربعة أشهر .

وسئل أبو عاصم : لم سُمِّيت نبيلاً . قال : لتجملُ ثيابي . وكان كبير الأنف ، ثم قال :
أخبركم عن نفسي بشيء : تزوجت امرأة فلما بنيت بها عمدت لأقبلها فنعني أنفي عن
القبلة ، فشددت أنفي على وجهها فقالت المرأة : نحَّ ركبتك عن وجهي . قال : فقلت :
ليس هذا ركبة إنما هو أنف .

قال موسى بن إسماعيل قال : سمعت أبا عاصم النبيل يقول :

ما اغتبت مسلماً منذ علمت أن الله حرَّم الغيبة .

وقال عمر بن شبة : سمعت أبا عاصم النبيل يقول :

أقلَّ حالات المدلس عندي أن يدخل في حديث النبي ﷺ : التشبُّع بما لم يُعط

كلايس ثوبَي زور .

قال أبو عاصم :

من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى الأمور ، فيجب أن يكون خير الناس .

قال أبو داود سليمان بن يوسف :

كنت مع أبي عاصم النخيل وهو يشي وعليه طيلسان ، فسقط عنه طيلسانه فسؤيته عليه ، فالتفت إلي وقال : كل معروف صدقة . فقلت : من ذكره رحك الله ؟ فقال : أخبرنا ابن جريج عن عطاء عن النبي ﷺ قال : كل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة .

قال إبراهيم بن يحيى بن سعيد :

رأيت أبا عاصم النبيل في منامي بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . ثم قال : كيف حديثي فيكم ؟ قلت : إذا قلنا : أبو عاصم فليس أحد يرده [٦٧/ب] علينا . قال : فسكت عني ثم أقبل علي فقال : إنما يُعطى الناس على قدر نياتهم .

٨٧ - الضحاك بن مسافر

مولى سليمان بن عبد الملك

حدث عن أبي حنيفة قال :

صليت إلى جنب أبي حنيفة ، فسمعتي أتشهد فقال لي : يا شامي ، حدثني سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : علمني رسول الله ﷺ التشهد :

التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ثم تدعو بما أحببت .

٨٨ - الضحّاك بن المنذر بن سلامة بن ذي فائش

ابن يزيد بن مرة بن عريب بن مرثد بن يريم الحميري

وفد على معاوية .

ذكر أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الحمّداني المعروف بابن ذي الدمينّة في كتاب مفاخر قحطان قال :

ذكروا أن الضحّاك بن المنذر الحميري - وكان أبوه وجده ملكين ، وكان وسيماً جسيماً - دخل على معاوية بن أبي سفيان ، فاستشرفه معاوية حين نظر إليه فقال : من الرجل ؟ فقال : من فرسان الصّباح ، الملاعبين بالرماح ، المبارين للرياح ، وكان معاوية متكئاً ، فاستوى قاعدأ ، وعجب من قوله وقال : أنت إذن من قریش البطاح . قال : لست منهم ، ولولا الكتاب المنزل ، والنبي المرسل لكنت عنهم راغباً ، ولقد يهيم عائباً . قال : فأنت إذن من أهل الشراة ، ذوي الكرم والرئاسة : كنانة بن خزيمه . قال : لست منهم ، وإني لأطمعو عليهم ببحر زاخر ، وملك قاهر ، وعز باهر ، وفرع شامخ ، وأصل باذخ . قال : فأنت إذن من جمرة^(١) معدّة ، وركنها الأشدّ [١٨٨] أهل الغارات : بني أسد . قال : لست منهم ، لأن أولئك عبيد ، ولم يبق منهم إلا الشريد . قال : فأنت إذن من فرسان العرب المطعمين في الكرب ، أهل القباب الحمر : تميم بن مرّ . قال : لست منهم ، لأن أولئك بدؤوا بالفرار حين أبحرهم^(٢) منا الأحجار . قال : فأنت إذن من خيار بني نزار ، وأحامم للذمار ، وأوفاهم بذمة الحار : بني ضبة . قال : لست منهم ، لأن أولئك رعاء البقر وأهل البؤس والتكر ، لا يقرّون الضيف ، ولا يدفعون الحيف . قال : فأنت إذن من أهل الطلب بالأوتار ، واجتماع الدار : ثقيف بن متبه . قال : كلا . أولئك قصار الحدود لثام الحدود ، بقية ثمود . قال : فأنت إذن من أهل الشاء والنعم ، والمنعة والكرم : هذيل بن مدركة . قال : كلا ، ألهى أولئك جمع الخطب وجزر العرب ، ولا يحلون ولا يمزون ، ولا ينفعون ولا يضرّون . قال : فأنت إذن من هوازن ، أهل القسر

(١) الجمرة : القبيلة لاتنضم إلى أحد . اللسان : جمرة .

(٢) أبحرهم إلى كذا : ألجأهم . اللسان : جحر .

والقهر، والنعم الدُّثْر . قال : كلا ، أولئك أهل الشُّرَات^(١) ، وعلاج الكَرَات ، شعر الرقاب وغبش الكلاب . قال : فأنت إذن من قاتلي الملوك الجبابر ، وأحلاف السيوف البواتر : من عيس أو مَرّة . قال : لست منهم ، لأننا منعناهم هاربيين ، وقتلناهم غادرين . قال : فأنت إذن من أهل الراية الحمراء ، والقبّة القتراء سليم بن منصور . قال : كلا . ألهى أولئك أكل الحصى ورضخ^(٢) النوى . قال : فأنت إذن من أوغاد الهانين ، الذين لا يعقلون شيئاً . قال : أنا ابن ذي فائش . مهلاً يامعاوية ، فإن أولئك كانوا للعرب قادة ، وللناس سادة ، ملكوا أهل الأرض طوعاً ، وأجبرهم كرهاً ، حتى دانت لهم الدنيا بما فيها ، وكانوا الأرباب وأنتم الأذنان ، وكانوا الملوك وأنتم السوق ، حتى دعاهم خير البرية بالفضل والتحية محمد ﷺ ، فعزّروه أيّما تعزير ، وشتموا حوله أيّما [٦٨/ب] تشهير ، وشهروا دونه السيوف ، وجهزوا الألوف بعد الألوف ، وجادوا له بالأموال والنفوس ، وضربوا معداً حتى دخلوا في الإسلام كرهاً ، وقتلوا قريشاً يوم بدر ، فلم يطلبوهم بشأراً ، فأصبحت يامعاوية ، تحمل ذلك علينا حقداً ، وتشتمنا عليه عمداً . وتقذف بنا في لجج البحار ، وتكفّ شرك عن بني نزار . ونحن منعناك يوم صفين ، ونصرناك على الأنصار والمهاجرين ، وأثرناك على الإمام التقي الوصي الوفي ، ابن عم النبي ﷺ . فبينا علّوت المناير ، ولولا نحن لم تعلّها ، وبينا دانت لك المعاصر ، ولولا نحن لم تدن لك ، فأنكرت منا ما عزمت ، وجهلت منا ما علمت . فلولا أننا كما وصفت ، وأحلامنا كما ذكرت لمنعناك العهد ، ولشدداً لغيرك العقد ، ولقرعت قرعاً تتطأطأ منه وتتقبض .

ففاظ معاوية ما كان من كلامه ، وضاق به ذرعه ، فلم يتأملك أن قال : اضربوا عنقه . فلم يبق في مجلسه يمانٍ إلا قام سالماً سيفه ، ولا مضريّ إلا عاضاً على شفته ، ودنا من معاوية فقام زرعة بن غفیر بن سيف اليزني - وقيل : غفیر بن زرعة بن عامر بن سيف ، وهكذا هو - فقال : أما والله يامعاوية ، إنا لنراك تكظم الغيظ من غيرنا على القول الفظيع الكثير ، وتستفطع منا اليسير - يريد ما يسمع من قريش - وذلك والله أننا لم نطعن عليك في أمرك ، فكأنك بالخرّب قد رفعناها إليك ، فستعلم أن رجالنا ضراغم ، وأن

(١) الشُّرة : مصدر لَشَرَ . اللسان : شرر

(٢) رضخ النوى : كسره . اللسان : رضخ .

سيوفنا صوارم ، وأن خيولنا ضوامر ، وأن كياتنا مساعر ، ثم قعد ، وقام خيوة بن شريح الكلاعي فقال : يامعاوية ، أنصفنا من نفسك وآس بيننا وبين قومك . وإلا تغلغلت بنا وبهم الصفاح ، أولننطحنهم بها أشد النطاح [١/٦٩] ولتوردتهم بها حوض المنيّة المتاح ، فقايضنا بفعلنا حذو النعل بالنعل ، وإلا والله أقنا دزأك^(١) بعدلنا ، ولقينا صفوك بعزمتنا حتى ندعك أطوع من الرداء ، وأذل من الحذاء . ثم دنا كريب بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح - أو ابن السامي فقال : ياهذا ، أنصفنا من نفسك لتكون وزراً على عدوك ، وتكون لك على الحق أعواناً ، وفي الله إخواناً ، وإلا والله أقنا مثلك ، وردعنا سفهك ، وخالفنا فيك هواك ، فتلفى فريداً وحيداً ، ثم تصبح هيناً مذموماً مدحوراً ، مغلوباً مقهوراً . ثم دنا يريم بن حبيب المرادي فقال : يامعاوية ، والله إن سيوفنا لحِداد ، وإن سواعدنا لشداد ، وإن رجالنا لأنجاد ، وإن خيولنا معدّة ، وإننا لأهل بأس ونجدة ، فاستل من هواننا من قبل أن نجتمع عليك ملأنا ، فدعك تكالاً لمن ولي هذا الأمر من بعدك . ثم دنا ناتل بن قيس بن حيا الجذامي فقال : يامعاوية ، قد تعرف [فَعَل]^(٢) ابن الزبير بك ، وقد خالفك في ابنك يزيد ، ولقيك بالأمر الشديد ، فطلبت منه السلامة ، وأهديت له الكرامة ، وذلك والله أنه أحسن ثورك^(٣) ، وبلغ منك عورك ، وقع بالشغب طورك ، وأيم الله ، لنحن أكثر منك نفراً وجمعاً ، فارتع على ظلمك^(٤) من قبل أن تقرعك حتى يسمع بخوارك من لا ينفعك من أنصارك . ثم دنا فروة بن المنذر الغساني فقال : يامعاوية ، اعرف لكهنا حقّه ، واحتمل من كريمنا قوله ، فإن خطره فينا عظيم ، وعهده بالملك حديث . فإن أبييت إلا أن تعدو طورك ، وتجاوز قدرك مشينا إليك بأسياقتنا ، وضربناك بأيماننا حتى تُتَيَّب إلى الحق ، وتترك الباطل بكرهك . فراع معاوية ما كان منهم ثم قال : عزمت عليكم لما قعدتم .

(١) الدّره : النشور والاعوجاج . اللسان : درأ .

(٢) الاستدراك من ابن عساكر .

(٣) اللفظة مهملة في الأصل ، وفوقها ضبة ، وقد أُشير إلى هذا الغموض بحرف « ط » في الهامش . وكذلك اللفظة مهملة عند ابن عساكر .

(٤) مثل يضرب في النهي عن التحمل فوق الطاقة . وأصله من ربت الحجر إذا رفعته . أي أرفعه بقدار

طاقتك . المستقصى ١٣٨/١ ، واللسان : ظلع .

حدث عن سليمان بن موسى عن كريب قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : سمعت النبي ﷺ يقول :

« ألا هل مشتمر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها . هي ورب الكعبة نور تتلأأ كلها ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة ناضجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وملك كبير ، ومقام في أبد ، في دار سلمية ، وفاكهة ، وخضرة ، ونعمة وخبرة^(١) ، في جنة عالية هية . قالوا : نحن المشتمرون لها يا رسول الله [الله] قال : « فقولوا : إن شاء الله » ، فقال القوم : إن شاء الله .

زاد في حديث آخر بمعناه :

ثم ذكر الجهاد ، وحضّ عليه .

٩٠ - ضرار بن الأزور

مالك بن أوس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة

ابن دودان^(٢) بن أسد بن خزيمة الأسدي

له صحبة ، وحدث عن سيدنا رسول الله ﷺ ، وشهد اليرموك ، وأرثت يومئذ . وشهد فتح دمشق .

حدث ضرار بن الأزور قال :

أهديت لرسول الله ﷺ لقحة ، فأمرني أن أحلبها ، فحلبتها ، فجهدت حلبها فقال : دع داعي اللبن .

وكان ضرار فارساً شاعراً ، وكان شهد النجاة ، فقاتل أشد القتال حتى قطعت ساقاه جميعاً ، فجعل يمشي ويقاقل وتطوّه الخيل حتى غلبه الموت .

(١) كذا في الأصل ، وفوقها ضبة . وفي الهامش حرف « ط » . والخبرة : النعمة . اللسان : حبر . انظر الحديث

في سنن ابن ماجه ١٤٤٨/٢ ، وهو بلفظ : « في حبرة ونضرة » .

(٢) في الأصل : « داود » . وفوقها ضبة . واستدركت الرواية الصحيحة في الهامش . وانظر الجهرة ١٩٣

أقبل ضرار بن الأزور إلى النبي ﷺ وقد خَلَفَ ألفَ بعيرٍ بُرْعَاتِها ، فأخبره بما خلف وبَيَّعَته للإسلام . ثم إن الله هداه وحَبَّبَ إليه الإسلام ، وقال : يا رسول الله ، إني قد قلت شعراً فاسمعه ، فقال النبي ﷺ : هيه . قال : قلت : [المتقارب]

فِي—أَرْبَ لَا أُغْبِنُ صَفْقِي فَقَدْ بَعْتُ أَهْلِي وَمَالِي ابْتِدَالًا
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا غُبِنْتَ صَفْقَتِكَ يَا ضَرَارَ » .

« ربح البيع ، ربح البيع ، ربح البيع » .

(١) نسبة إلى أبي عبيد بن مسعود الثقفي الذي انتدب في عهد عمر بن الخطاب لقتال الفرس سنة ١٣ هـ . يقال انه يرمي الحمر على الفرات ، ويقال انه كان قديماً فأصلحه . معجم البلدان .

(٣) الشلال : القوم المتفرقون - اللسان : شلل .

لا ، حتى تكتب بذلك إلى عمر ، فكتب عمر أن ارضخه بالحجارة . فجاء كتاب عمر بن الخطاب وقد توفي ، فقال : ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور .

كتب أبو عبيدة إلى عمر أن نقرأ من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل ، فسألناهم فتأولوا وقالوا : خَيرنا فاخترنا . قال : ﴿ قَهْلُ أَنتُمْ مُنْتَهَوْنَ ﴾^(١) ولم يعزم . فكتب إليه عمر فذلك بيننا وبينهم : ﴿ قَهْلُ أَنتُمْ مُنْتَهَوْنَ ﴾ يعني : فانتهوا . وجع الناس فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة ، ويضمنوا النفس . ومن تأول عليها بمثل هذا ، فإن أبي قتل ، وقالوا : من تأول على ما^(٢) فسر رسول الله ﷺ [٧٠ ب] منه بالفعل والقتل . فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم ، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم ، وإن زعموا أنها حرام فاجلدكم ثمانين . فبعث إليهم ، فسألهم على رؤوس الأشهاد ، فقالوا : حرام ، فجلدهم ثمانين ثمانين ، وحدّ القوم ، وندموا على لجاجتهم ، وقال : ليحدثنَّ فيكم يا أهل الشام حادث ، فحدثت الرمادة .

قال الحكم بن عتيبة :

لَمَّا كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي أَبِي جَنْدَلٍ وَضَرَارِ بْنِ الْأَزْوَْرِ جَمْعَ عَمْرِ النَّاسِ فَاسْتَشَارَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحَدَثِ ، فَأَجْمَعُوا أَنْ يَحْدُوا فِي شَرْبِ الْخَمْرِ - وَالسُّكْرِ مِنَ الْأَشْرَبَةِ - حَدَّ الْقَاذِفِ ، وَإِنْ مَاتَ فِي حَدٍّ مِنْ هَذَا الْحَدِّ فَعَلَى بَيْتِ الْمَالِ دَيْتُهُ ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ رَأَوْهُ . قَالَ عَطَاءٌ : وَقَالُوا - وَجَاشَتْ الرُّومُ - دَعَوْنَا نَغْزِمُ ، فَإِنْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى لَنَا بِالشَّهَادَةِ فَذَٰكَ ، وَإِلَّا عَدَّتْ لِلَّذِي تَرِيدُ ، فَاسْتَشْهَدَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَْرِ فِي قَوْمٍ ، وَبَقِيَ الْآخَرُونَ فَحَدُّوا .
قَالُوا : وَقِيلَ : قُتِلَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَْرِ يَوْمَ أَجْنَادَيْنِ سَنَةِ ثَلَاثٍ عَشْرَةٍ .

(١) سورة المائدة ٩٢/٥

(٢) استدركت لفظة « ما » في هامش الأصل .

٩١ - ضرار بن الخطاب

ابن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان
ابن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، الفهري

له صحبة . أسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع أبي عبيدة فتوح الشام . وكان ضرار يوم
الفجار على بني محارب بن فهر ، وكان أبوه خطاب بن مرداس يأخذ المرباع . وهو الذي
غزا بني سليم ، وهو رئيس بني قهر . وجده عمرو بن حبيب هو أكل السُّقْب^(١) . وذلك أنه
أغار على بني بكر ، ولهم سقْب يعبدونه ، فأخذ السُّقْب فأكله . وكان عمه حفص بن
مرداس شريفاً . وكان ضرار بن الخطاب فارس قریش وشاعراً ، وحضر معهم المشاهد
كلها ، فكان يقاتل أشد القتال ، ويحرض المشركين بشعره . وهو قتل عمرو بن معاذ أخا
سعد بن معاذ يوم أحد . وقال حين قتله : لا تعدمنّ رجلاً زوّجك من الحور العين .
وكان يقول : زوجت [١٧١] عشرة من أصحاب محمد ﷺ . وأدرك عمر بن الخطاب
فضربه بالقناة ثم رفعها عنه وقال : يا بن الخطاب ، إنها نعمة مشكورة . والله ما كنت
لأقتلك . وهو الذي نظر يوم أحد إلى خلاء الجبل من الرماة فأعلم خالد بن الوليد ، فكَرّاً
جميعاً بمن معها ، حتى قتلوا من بقي من الرماة على الجبيل ، ثم دخلوا عسكر المسلمين من
ورائهم . وكان له ذكر بالهندق . ثم إن الله منّ عليهم بالإسلام . وأسلم يوم فتح مكة ،
فحسن إسلامه . وكان يذكر ما كان فيه من مشاهدته القتال ومباشرة ذلك ، ويترحم على
الأنصار ، ويذكر بلاءهم ومواطنهم وبذلهم أنفسهم لله في تلك المواطن الصالحة . وكان
يقول : الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ، ومنّ علينا بمحمد ﷺ .

قال الزبير بن بكار :

لما بلغ دوساً قتل هشام بن الوليد بن المغيرة أبا أزيهر وثبوا على من كان فيهم من
قریش فقتلوه ، وقتل بجير بن العوام . وكان الذي قتل بجير بن العوام صبيح بن سعد بن
هانيّ الدوسي جدّ أبي هريرة أبو أمه . وكان ضرار بن الخطاب الحارثي فيهم ، فأجارته أم
غيلان وابنها عوف ، وهم موالي دوس . وكانت أم غيلان تمشط النساء . قال ضرار بن

(١) السقْب في اللغة : ولد الناقة . اللان : سقْب .

الخطاب : أدخلتني في درعها حتى وجدت تسيد^(١) ركنها - يعني الشعر - فبذلك سميت أم غيلان إحدى الموفيات .

وذكر البلاذري

أنه لما وثبت دوس على ضرار بن الخطاب بن مرداس ليقتلوه بأيي أزيهر سعى حتى دخل بيت امرأة من الأزد يقال لها : أم جميل ، وأتبعه رجل منهم ليضربه ، فوقع ذباب السيف على الباب ، وقامت في وجوههم فذبّتهم ، ونادت قومها فتنعوه لها . فلما استخلف عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه ، فأتت المدينة ، فلما كلمته عرف القصة ، فقال : لست بأخيه [٧١ ب] إلا في الإسلام . وهو غاز بالشام . وقد عرفنا منتك عليه ، فأعطاه على أنها بنت سبيل . وقيل : كان اسمها أم غيلان . وقال ضرار بن الخطاب من أبيات :
[الطويل] :

جزى الله عنا أم غيلان صالحاً ونسوتها إذ هنّ شعث عواطلُ
فهنّ دفعن الموت بعد اقترابه وقد برزت للشائرين المقاتلُ

قال الضعّاك بن عثمان :

امترى مجلس من الأوس والخزرج أيّهم كان أحسن بلاء يوم أحد ، فمرّ بهم ضرار بن الخطاب فقالوا : هذا ضرار قد قاتلنا يومئذ ، وهو عالم بما اختلفنا فيه ، فأرسلوا إليه فتي منهم ، فسأله : من كان أشجع يوم أحد : الأوس أم الخزرج ؟ قال : لا ، ما أدري ما أوسكم من خزرجكم . ولكني زوجت يومئذ أحد عشر منكم من الخور العين .

ولما التقى عبد الله بن جحش يوم أحد هو وضرار بن الخطاب ، فلما عرفه ضرار قال : إليك يا بن جحش - وكان ضرار قد آلى ألا يقتل مريضاً - فقال له عبد الله بن جحش : ما كان دمك - يا عدو الله - أعجب إليّ منه الآن حين جمعت كفرأ وعصبية ، فسأدى ضرار : يا معشر قریش ، اكفوني ابن جحش ، فانتظموه برمأحهم ، وقال ضرار بن الخطاب لأبي بكر الصديق : نحن كنا خيراً لقریش منكم ، نحن أدخلناهم الجنة ، وأنتم أدخلتموهم النار .

(١) التسيد : أن ينبت الشعر بعد أيام . اللسان : سيد .

قال السائب بن يزيد :

بيننا نحن مع عبد الرحمن بن عوف في طريق الحج ، ونحن نؤم مكة اعتزل
عبد الرحمن بن عوف الطريق ، ثم قال لرباح بن المغترف : غننا يا أبا حسان - وكان
يحسن النصب - فبينما رباح يغنيهم أدركهم عمر بن الخطاب فقال : ما هذا ؟
فقال عبد الرحمن : ما بأس بهذا ، نلهو ونقصر عنا سفرنا ، فقال عمر : فإن كنت أخذاً
فعليك بشعر ضرار بن الخطاب .

٩٢ - ضرار بن ضمرة الكناني

[١٧٢/أ] وفد على معاوية .

قال أبو صالح :

دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية فقال له : صف لي علياً ، فقال : أو
أعفيتني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك ، فقال له : إذ لابد فإنه كان - والله - بعيد
المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة
من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان - والله -
غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، ويعجبه من اللباس
ما قصر ، ومن الطعام ما جشبه^(١) . كان - والله - كأحدنا ، يدبنا إذا أتينا ، ويجيبنا إذا
سألناه ، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له . فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ
المنظوم . يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا يأس
الضعيف من عدله . فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرحى الليل سدوله ،
وغارت أنجومه ، يتثل في محرابه قابضاً على لحية ، يتأمل تملل السليم ، ويبكي بكاء
الحزين ، فكأنني أسمع الآن وهو يقول : يا ربنا ، يا ربنا ، يتضرع إليه ، ثم يقول
للدنيا : إني تعرضت أم لي تشوفت ؟ هيهات هيهات ، غري غري ، قد بتت^(٢) ثلاثاً ،
فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك يسير ، أه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة

(١) جشِب الطعام : طحنه طحناً سيئاً . وطعام جشِب قيل : هو الذي لا آدم له . اللسان : جشِب .

(٢) بتَ فلان طلاق امرأته وأبته : أي طلقها طلاقاً باتاً . اللسان : بتت .

الطريق . فوكفت دموع معاوية على لحيته ، ما يملكها ، وجعل ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، فقال : هكذا كان أبو الحسن رحمه الله ، فكيف وجدك عليه يا ضرار ؟ قال : وجدُّ من دُبِحَ أوحدها في حجرها ، لا ترقأ دمعتهما ، ولا تسكن حسرتها . ثم قام فخرج .

زاد في حديث آخر بمعناه قال :

فقال معاوية : لكن أصحابي لو سئلوا عني بعد موتي ما أخبروا بشيء مثل هذا .

٩٣ - ضمرة بن ربيعة

أبو عبد الله القرشي

من أهل دمشق . نزل الرملة . وهو مولى علي بن أبي حملة ، وهو مولى [٧٢/ب] آل عتبة بن ربيعة . وقيل مولى غيره .

حدث عن ميسرة بن معبد عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبي ﷺ :

« ما اجتمع ثلاثة في حضرة أو بدو لاتقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان » .

وحدث عن الأوزاعي بسنده عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال :

« كُلُّ مَارَدَّتْ عَلَيْكَ قَوْسُكَ » .

وحدث ضمرة عن سفيان بسنده عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال :

« من ملك ذا رحم فهو حر » .

وأنكر أحمد هذا الحديث . وكان ضمرة من الثقات المأمونين . رجل صالح ، مليح الحديث . لم يكن بالشام رجل يشبهه .

توفي ضمرة بن ربيعة بالرملة سنة اثنتين وثمانين ومئة . وقيل : سنة اثنتين

ومئتين .

٩٤ - ضمرة بن يحيى الصوفي

من دمشق .

قال ضمرة بن يحيى الدمشقي : سمعت أبا بكر بن الأنباري يقول :
كتب الفضل بن سهل إلى بعضهم : أحتج عليك بغالب القضاء ، وأعتذر إليك
بصدق النية .

قال ضمرة بن يحيى : أنشدنا أبو بكر بن الأنباري لمروان بن أبي حفصة : [الكامل]

عند الملوك منافع ومضرة وأرى البرامك لا تنزع وتنفع
إن كان شراً كان غيرهم لـه والخير منسوب إليهم أجمع
وإذا جهلت من امرئ أعراقه وأموره فانظر إلى ما يصنع

٩٥ - ضمضم بن زرعة

قيل إنه ابن ثوب

فإن كان أبوه زرعة بن ثوب فهو دمشقي مقراني .

قال الحافظ :

وعندي أن ضمضاً حضرمي ، من أهل حمص .

حدث عن شريح بن عبيد عن أبي أمامة الباهلي وغيره من الصحابة عن رسول الله ﷺ قال :
إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم .

وحدث عن شريح بن عبيد عن كثير بن مرة عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي ﷺ [٧٣/أ]

قال :

الخلافة في قریش ، والحكم في الأنصار ، والدعوة في الحبشة ، والجهاد والهجرة في
المسلمين والمهاجرين بعد .